تلويح للضوء

علي الطائي

كنا في فجرٍ ، يطلُعُ من خلف حقولْ
بعضٌ يسألُ بعضاً عن أمنيةٍ حطَّتْ
فوق الراحة أو قرب الفمْ ـ
كنا نسألُ في الذكرى ،
عن ماضٍ فائض ،
غطّى أياماً وأسابيعَ تخلَّتْ عنا
وهنا في صُورٍ تذكاريةْ
كان نهارٌ ، كنهارِ ضواحٍ في تشرينْ
كنا قد أقنعناهْ بصُحْبَهْ ،
جَمَّعنا مُتَّكئينَ كأشجارِ قُرىً
في لقطاتٍ كالسُّياحْ
كنا نتبادلُ رؤيتَها
بفضولِ تلاميذَ من الريفْ
ونحدِّقُ في ضوء نهار آخرَ ماثلْ
يدفعُنا أنْ نجمع أزهارَ الوقتْ
للأشجارِ ظلالاً يُعطي ، وصداقاتْ
يُعطينا أنْ ننقُلَ للصحراء ربيعاً ومنازلْ ـ
متروكٌ أنْ نجمعَ حِصَّتنا من هذي الأيامْ ـ
هذا الألَقُ الطالع بالابيضِ والوردي
ما يُبقيهِ طويلاً في الروحْ
هو هذي الأيدي المشغولةُ في الضوءْ
في طعم الخبز الحارْ
ما زلنا نتحسَّسُ أياماً تُقبلْ ـ
كلُّ ليالينا القمراءْ
ونهاراتِ الظِّلْ
ماثلةٌ في هذي الجلسةِ بين الساعاتْ ـ
ما بعثرهُ المحتفلونْ
يبقىٰ مع هذا أجملْ
« كان هنا أحدٌ ، ومضىٰ »
العالَمُ ما زال يدور بأطباقٍ وشرابْ
وضيافتُنا واجبُهُ اليومي
صَفُّ محلاّتٍ ، ودكاكينَ ودورْ
لا تنسيقَ يوآلِفُها ،
تُغْني عن صحراءٍ ذهبيةْ
ساعةَ لا ألقىٰ مَنْ يسمعُني ـ
لم أرفعْ كفي لأنادي
ناساً هربوا من عيدْ
ولذا مشغولاً ،
كنتُ أصافحِ مَنْ حولي
وأَجَمِّعُ زاداً للأضياف ـ
ما زالتْ هذي الخُطُواتْ
تُقْلِقُ هذا الشارعُ كلَّ صباحْ
هي تكريمٌ لنهارٍ يُقبلْ
يحملُ للناس علاقاتٍ ، وهدايا
« أما بالنسبةِ لي ،
فأنا في هذا الوقتِ تماماً
أترقَّبُ قافلةَ الموسيقى
والكلماتْ » .

بغداد